284 - { ﷲ ما في السموات وما في الأرض } ملكا [وأهلها له عبيد وهو مالكهم] { وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به اﷲ فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء واﷲ على كل شيء قدير } اختلف العلماء في هذه الآية فقال قوم : هي خاصة ثم اختلفوا في وجه [خصوصها] فقال بعضهم : هي متصلة بالآية الأولى نزلت في كتمان الشهادة أو تخفوا الكتمان يحاسبكم به اﷲ وهو قول الشعبي و عكرمة وقال بعضهم : نزلت فيمن يتولى الكافرين دون المؤمنين يعني وإن تعلنوا ما في أنفسكم من ولاية الكفار أو تسروا يحاسبكم به اﷲ وهو قول مقاتل كما ذكر في سورة آل عمران { لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين } إلى أن قال { قل إن تخفوا ما في صدوركم أو تبدوه يعلمه اﷲ } (29 - آل عمران) .

وذهب الأكثرون إلى أن الآية عامة ثم اختلفوا فيها فقال قوم : هي منسوخة بالآية التي بعدها .

والدليل عليه ما أخبرنا إسماعيل بن عبد القاهر أخبرنا عبد الغافر بن محمد أخبرنا محمد بن عيسى الجلودي حدثنا إبراهيم بن سفيان أنا مسلم بن الحجاج حدثني محمد بن المنهال الضرير وأمية بن بسطام العيشي واللفظ له قالا : أخبرنا يزيد بن زريع أنا روح وهو ابن القاسم عن العلاء عن أبيه عن أبي هريرة Bه قال : [لما أنزل اﷲ على رسوله اﷲ A { ﷲ ما في السموات وما في الأرض وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به اﷲ } الآية قال : اشتد ذلك على أصحاب رسول اﷲ A فأتوا رسول اﷲ A ثم بركوا على الركب فقالوا : أي رسول اﷲ A كلفنا من الأعمال ما نطيق : الصلاة والصيام والجهاد والصدقة وقد أنزلت عليك هذه الآية ولا نطيقها قال رسول اﷲ A ك أتريدون أن تقولوا كما قال أهل الكتابين من قبلكم : سمعنا وعصينا بل قولوا { سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير } فلما قرأها القوم وذلت بها ألسنتهم أنزل اﷲ في أثرها { آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن باﷲ وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير } فلما فعلوا ذلك نسخها اﷲ تعالى : { لا يكلف اﷲ نفسا إلا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا } قال نعم { ربنا ولا تحمل علينا إصرا كما حملته على الذين من قبلنا } قال نعم { ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به } قال نعم { واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين } قال نعم] .

وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس Bهما بمعناه وقال في كل ذلك : قد فعلت بدل قوله نعم

وهذا قول ابن مسعود وابن عباس وابن عمر Bهم وإليه ذهب محمد بن سيرين و محمد بن كعب و قتادة و الكلبي .

اخبرنا الإمام أبو علي الحسين بن محمد القاضي أخبرنا أبو محمد عبد ا بن يوسف الأصفهاني أخبرنا أبو بكر أحمد بن إسحاق الفقيه أخبرنا يعقوب بن يوسف القزويني أخبرنا القاسم بن الحكم العرني أخبرنا مسعر بن كدام عن قتادة عن زرارة بن أوفى عن أبي هريرة تعمل أو تتكلم لم ما أنفسها به وسوست ما أمتي عن تجاوز D ا إن] : قال A النبسي عن Bه به] .

وقال بعضهم الآية غير منسوخة لأن النسخ لا يرد على الأخبار إنما يرد على الأمر والنهي وقوله { يحاسبكم به ا } خبر لايرد عليه النسخ ثم اختلفوا في تأويلها فقال قوم : قد أثبت ا تعالى للقلب كسبا فقال { بما كسبت قلوبكم } (225 - البقرة) فليس عبد أسر عملا أو أعلنه من حركة من جوارحه أو همسة في قلبع إلا يخبره ا به ويحاسبه عليه ثم يغفر ما يشاء ويعذب بما يشاء وهذا معنى قول الحسن يدل عليه قوله تعالى { إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولا } (36 - الإسراء) وقال الآخرون : معنى الآية أن ا D يحاسب خلقه بجميع ما أبدوا من أعمالهم أو أخفوه ويعقبهم عليه غير أن معاقبته على ما أخفوه ويعاقبهم عليه غير أن معاقبته على ما أخفوه مما لم يعلموه بما يحدث لهم في الدنيا من النوائب والمصائب والأمور التي يحزنون عليها وهذا قول عائشة Bها قالت : سألت رسول ا A عن هذه الآية فقال : [يا عائشة هذه معاتبة ا العبد بما يصيبه من الحمى والنكبة حتى الشوكة والبضاعة يضعها في كمه فيفقدها فيروع لها حتى يخرج من ذنوبه كما يخرج التبر الأحمر من الكير] .

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أخبرنا أبو منصور السمعاني أخبرنا أبو جعفر الرياني أخبرنا حميد بن زنجويه أخبرنا عبد ا بن صالح حدثني الليث حدثني يزيد بن أبي حبيب عن سعيد بن سنان عن أنس بن مالك Bه عن رسول ا A أنه قال : [إذا أراد ا بعبده الخير عجل له العقوبة في الدنيا وإذا أراد ا بعبده الشر بعبده أمسك عليه بذنبه حتى يوافيه به يوم القيامه] .

وقال بعضهم { وإن تبدوا ما في أنفسكم } يعني ما في قلوبكم مما عزمتم عليه { أو تخفوه يحاسبكم به ا } ولا تبدوه وأنتم عازمون عليه يحاسبكم به ا فأما ما حدثت به أنفسكم مما لم تعزموا عليه فإن ذلك مما لا يكلف ا نفسا إلا وسعها ولا يؤاخذكم به دليله قوله تعالى { لا يؤاخذكم ا باللغو في أيمانكم ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم } (225 - البقرة) .

وقال عبد ا بن المبارك : قلت لسفيان : أيؤاخذ العبد بالهمة قال : إذا كان عزما أخذ بها وقيل معنى المحاسبة الإخبار والتعريف ومعنى الآية : وإن تبدوا ما في أنفسكم فتعملوا

به أو تخفوه مما أضمرتم ونويتم يحاسبكم به ا ويجزيكم به ويعرفكم إياه ثم يغفر للمؤمنين إظهارا لفضله ويعذب الكافرين إظهارا لعدله وهذا معنى قول الضحاك ويروى ذلك عن ابن عباس Bهما يدل عليه أنه قال : يحاسبكم به ا ولم يقل يؤاخذكم به والمحاسبة غير المؤاخذة والدليل عليه ما أخبرنا أبو طاهر محمد بن علي الزراد أخبرنا أبو القاسم علي بن أحمد الخزاعي أنا أبو سعيد الهيثم بن كليب أنا عيسى بن أحمد العسقلاني أنا يزيد بن هارون أنا همام بن يحيى عن قتادة عن صفوان بن محرز قال : كنت آخذا بيد عبد ا بن عمر بن الخطاب Bهما فأتاه رجل فقال : كيف سمعت رسول ا A يقول في النجوى ؟ فقال : سمعت رسول ا A يقول : [إن ا تعالى يدني المؤمن يوم القيامة حتى يضع عليه كنفه يستره من الناس فيقول : أي عبدي أتعرف ذنب كذا وكذا ؟ فيقول : نعم أي رب ثم يقول أي عبدي تعرف ذنب كذا وكذا ؟ فيقول : نعم أي رب حتى إذا قرره بذنوبه ورأى في نفسه أنه قد هلك قال فإني سترتها عليك في الدنيا وقد غفرتها لك اليوم ثم يعطى كتاب حسناته وأما الكافر والمنافقون فيقول الأشهاد : هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة ا على الظالمين] (18 - هود) .

قوله تعالى : { فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء } رفع الراء والياء أبو جعفر وابن عامر وعاصم ويعقوب وجزمهما الآخرون فالرفع على الابتداء والجزم على النسق وروى طاووس عن ابن عباس Bهما فيغفر لمن يشاء الذنب العظيم ويعذب من يشاء على الذنب الصغير { لا يسأل عما يفعل وهم يسألون } { وا على كل شيء قدير } (230 - الأنبياء)